

الفراي الصغير

تمثيلية ازاحة
بقلم خليل هنداي

« مهداة الى كل كوخ على خط النار فيه فدائي صغير »

الاشخاص

حسن : الفدائي الصغير

خالد

سعد

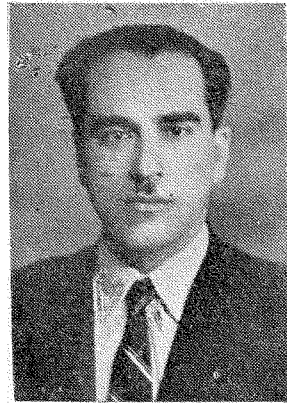
من حرس الحدود

الحارس

المرضة .

حسن - (متضحكاً) بل رأيت كل شيء..
أيها الرقيب! رأيت أمواتاً يحملون
أمواتاً .
سعد - لا تفيد الفلسفة شيئاً .
حسن - لقد قتلونا مرتين : هنا مرة ،
وإن مؤتمراتهم مرة . أرى سلاحاً ،
ولا اشم دخاناً .
خالد - هيا يا حسن !
حسن - لا أعرف الا طريقاً واحداً يجاني
هو طريق القرب . إن أرواح أهلي
تشي عليه الآن . دعوني أتبعهم !
خالد - ماذا تفعل وحدك هناك ؟
حسن - ولماذا أكون دائماً وحدي ؟ لماذا
لا تتخضب هذه الأرض الابدمائنا ؟
خالد - قد سالت نفسي هذا السؤال ، فلم
يجبني أحد ...
حسن - واخفتها ! ان بنادقهم لا تستطيع
أن تتجاوز خط الهدنة .
الحارس - (مضرباً)
من قا ، انها لا تستطيع ؟ (يطلق
طائفة) أنظر اين وقعت !
حسن - لنمش على نورها اذا كنتم أبطالاً !
خالد - الى أين ؟
حسن - ان الدم لا يحرسه الا الدم ...
خالد - أعداء بشري أن اكون معك في
يوم النار .
حسن - إن ، كسبت جيشاً مقاتلاً .
خالد - هل انتهى كل شيء ؟
(صمت)
حسن - ياها من مية هادئة ! لم يسنطع
الموت أن يقتلني ... لعل له معي
موعداً اخر ، في مائة شهية تكتظ بحوم الأحياء .
لا تزلز ريح لحوم أهلي في أنفي . ان دمهم كان
يشخب على وجهي دافئاً ، لا يستطيع التراب أن

سعد - إنهم دائماً ينتقمون ، ولا تنتقم .
خالد - أسمع أحياناً في تلك الزاوية .
سعد - (بعد صمت) انه غلام ينتفض .
الحارس - من القى ؟
حسن - (يجرح متفاجلاً)
دعوني وحدي ، واتبعوهم ! هذه
آثار اقدامهم الماطخة بالدم . أعطوني بندقية لأصرع
واحداً منهم . لقد داهموا ونحن دون سلاح .
أين أهلي ؟
خالد - أهلك هنا ... املوه الى السيارة !
حسن - أية سيارة تحملني ؟
خالد - جرحك يحتاج الى عناية
حسن - جراح أمي أكثر عمقاً . لماذا لا
تعتنون بها ؟
الحارس - تعال معنا ! نخاف أن يجدد العدو
كرته علينا .
حسن - ولماذا لا يخاف العدو أن نكر نحن
عليه ؟ اني لن أنسحب من هذا
المكان . ماذا تحملون في السيارة ؟
خالد - لا تدعوه يرى شيئاً ! لا شيء ...
لا شيء ...



خليل هنداي

صوت قذيفة - يتلوه طلقات رصاص -
على الحدود .
خالد - انهم نسفوا الكوخ المنفرد . هل
تري ؟
سعد - لم يتركوا وراءهم الا الغبار .
خالد - انهم جبناء ، لا يركبون الا الليل .
سعد - أنقوم وحدنا بالاستكشاف ؟
خالد - لا حاجة الى استكشاف . انهم
كعادتهم يضربون الأبرياء وينهزمون . لن نرى
منهم أحداً .
سعد - انها حرب الأبرياء ...
خالد - لنبادر الى اطلال الكوخ ، لعل
فيه من يريد الحياة .
سعد - (ساخراً)
وهل يتركون جريحاً بجراحه ؟ ان
جراحهم المجرمة تكمل ما لم يعمله
الرصاص في الصدور .
خالد - ما أهول الصمت بعد ما تشق
القذيفة أحشاءها !
سعد - انه لصمت مخيف ، تعرج فيه
ارواح الأبرياء الى السماء .
خالد - من هناك ؟
صوت - رجال الحرس ...
خالد - دائماً بين أشداق الموت .
سعد - هل وجدتم شيئاً تحت الأنقاض ؟
الحارس - لا شيء الا ما تبعثر من جثث
الضحايا !
سعد - هذا عجور مطعون في جنبه .
الحارس - وهناك أم مذبوحة كنعجة .
سعد - ومن هذه الجثث الصغيرة ؟
الحارس - صغار مثلت بهم شياطين البشر
الذين أشفقت عليهم الانسانية الكاذبة .
خالد - ويلتاه ! غطوا عيونهم ! انها تتكلم .
الحارس - لماذا لا نتبعهم على آثارهم ؟
وموت في ساحة النار .

ينصه سريعاً .

(ضحكات بريئة)

كانت الأطراف ترقص على فتل
المصباح الخافت ، لم أعد أرى شيئاً سوى الظلام ،
والتراب يملأ أني وعيني . إلهي ! أين أنا ؟ هذا
هو المصباح الخافت نفسه ، ولكن لا أرى غباراً .
أين أنا ؟ أين أنا ؟

المرمضة - رفقا بنفسك أيها الصغير ! انت
في المستشفى .

حسن - أي مستشفى هذا ؟ نست بمريض .
أريدون ان يفرضوا على المرض والجبن والتعود !
بئس السلامة سلامة الجبناء !

المرمضة - أسكت أيها الجريح ! ما اسمك ؟
حسن - حسن !

المرمضة - حسن ؟ كيف نجوت من المعركة ؟

حسن - لقد تمردت على الموت ... لم يكن
معنا سلاح . كان رصاصهم يهوي على جلودنا ؛
ثم حراهم يفرزونها في سدورنا . لا أدري
كيف أخطأت الموت ، ولكني لا أشعر
بأنه بعيد عني .

المرمضة - إذن ، لم يبق من أهلك أحد !

حسن - لم يمت منهم انسان في قلبي ...
انهم ينتظرونني راكباً عجلة النار .
لماذا تجسسونني في هذا المكان ؟ أستطيع ان أحرك
يدي بل أستطيع ان أمشي ... بل أستطيع ان أقفز
من هذه النافذة .

(يقفز حسن)

المرمضة - حسن ! حسن ! ويلتاه ! إنه فز من
حديثه المستشفى .

خالد - (داخلا)

من تتادين ؟

المرمضة - حسن !

خالد - أين هو ؟

المرمضة - فز من هذه النافذة
خالد - لا يمكن أن يخلف وعده ... إنه
وعدي بأن يموت معاً الى خط النار لثأر .
وها أنا جنته بحسب الموعد .

المرمضة - أظننه قد عاد الى المعركة ؟

خالد - أجل ، انه الآن حول الكوخ الذي
يعبق برائحة الموت .

المرمضة - بل برائحة الحياة ... إن أحياءه
جميعهم حوله .

خالد - إني أخاف عليه الموت قبل ان
يدرك ثأره .

المرمضة - ان الموت لم يعف عنه ليموت
رخيصاً ، إن له شأناً معه .

خالد - مسكين حسن ... ان الكوخ قد
جذبه اليه ، لأنه لا يستطيع أن

يبقى كوخه بدون أحياء . إنه يعانق الآن حجارة
كوخه المهدم .

المرمضة - أتركب الخطر انت أيضاً ؟

خالد - لن يكون صغارنا أجراً منا .

المرمضة - أوصيك بحسن ... اذا رأيته
جريحاً فأعده التنا !

خالد - ربما رأيته قتيلاً .

المرمضة - لن تراه قتيلاً قبل أن ترى قتلى
اليهود

خالد - سأبحث عنه على خط النار

المرمضة - ووراء خط النار !

(٢)

المكان - ساحة المستشفى نفسه

المرمضة - آه ! من المحمول على السرير ؟ ولي
كأني أعرفه ...

خالد - هذا حسن ...

المرمضة - إذن ، بررت بوعدك

خالد - لم يتم الوعد بعد .

المرمضة - حسن !

حسن - (يفتح عينيه)

نعم ، هذا حسن ! لكنه جريح
حقاً . كوني واثقة بي ! حسن لا يستطيع الآن
أن يقفز ، إنه محطم .

المرمضة - وضعوه في الغرفة نفسها

حسن - خالد ! لا تركني ! سأقص عليك
أشياء هامة

خالد - ولكنك لم تثق بوعدتي

حسن - أردت أن أستعجل ساعة الانتقام .
كان دم أهلي يناديني . ومن وراءه صوت وطني
يدعوني . هل تغفر لي ؟ لم أخلف الوعد الا

هذه المرة .

خالد - بل اغفر أنت لي ، يا حسن !

حسن - لم أجد نفسي الا وراء الحدود ...

كان أمامي معسكر كبير .. لم أشأ
ان أهدع نفسي . اختفيت في حفرة .. كنت
أسمع أصواتهم من بعيد .. أيقنت أن الموت

يقترّب ، ولكني عزمت ألا أموت وحدي !
مسدي يقتل عن عدة أمتار ، وقذيفتي تفني بضعة
أشخاص . وخنجري يمزق على الأقل واحداً من

هؤلاء السفاكين ... انتظرت الليل ، وكانت
السماء بدون نجوم . قصدت مخيماً ظاهر النور ،
قلت بنفسي : أنسف هذا المخيم بذلك الكوخ ...

زحفت على بطني ، ومشيت على ركبتي ... هممت
بأن ارمي ، لكن أصواتاً داخل المخيم أوقفت

يدي . ماذا تقول هذه الأصوات ؟

.....

.....

.....

.....

« داخل المخيم اليهودي »

١ - ان حرب الابادة توجب علينا أن
نستخدم كل وسيلة لافناء العدو ، شريفة
كانت او دنيئة . ليس في الحرب شيء اسمه الشرف
او المروءة .

٢ - هذه تعاليمنا الى جلودنا .

٣ - هذه الطريقة تتلزم قتل الأطفال والنساء
قبل الرجال ، وتحطيم الأبرياء

قبل المحاربين .

٤ - ولكن ... كيف نقابل الضمير
العالمي ؟

٣ - (بسخرية)

الضمير العالمي ؟ نتحدث عن
كياننا ، ونتحدث عن الضمير العالمي ، هل للضمير

العالمي من وجود ؟ تلك حيلة من حيل الحروب
استخدمناها للفتك بأعدائنا ، عند القوة لا نستعين

الا بالقوة . وعند الضعف نستثير الضمير العالمي .
١ - من استطاع أن يحطم النازية الا هذا

الضمير العالمي الذي أثرناه عليها ؟
٤ - ولكن ... ما عني ينفع قضيتنا
قتلتنا للنساء والأطفال ؟

٣ - (ساخرأ)

ليس طفل اليوم عدوك الذي يقااتلك
غداً ؟ إن آراءك تهدم ملكة اسرائيل ...

١ - أكاد أتهمك بالخيانة يا صموئيل !
٢ - دعوه في أحلامه ! لو اعتمدنا على

أمثاله لما كانت لنا دولة اسرائيل ...
والآن ، ماهي التعاليم الجديدة ؟

١ - تعرفون أن القوات المصرية هي
التي توقف تقدمنا نحو الجنوب ... لا بد

أن ننتقم منها ! ان مياه شربها من الآبار ،
ماذا يمنعنا من تسميمها ؟ إنهم سيموتون بلا قتال .

٢ - آه ! يالها من فكرة جميلة ! رائحة
فيها الذكاء اليهودي ! حرب بدون حرب .
علي تنفيذ هذه الفكرة .

١ - ما أجرأك على التسلل في خطوط
العدو ! غداً ، عند الغسق ، تتسلل مع أعوانك

الى الآبار ، وهذه خارطة الآبار ، وهذا مستودع
الأسلحة ...

٤ - أما أنا ...

١ - يالك من جبان قذر ! أتركوه
كالكلب ينبج على مائدة الضمير العالمي !

.....

حسن - (متمللاً ، متألماً)

لم أعد أستطيع البقاء ، ولم تعد كني
تقوى على القذف رفقا بجلودنا . أخذت ابتعد عن

المكان . ولكني أضعت الطريق بين الحفر والصخور .
أسابق الفجر الى الأسلاك الشائكة . وكلما خار

عزيمي تذكرت الرفاق . وتصورتهم كيف يموتون خنقاً بدون بطولة . رحمت اتحامل على نفسي ، وأجر قديمي ، ثم أفع ، ثم انهض كأن قوة خارقة ندفعني . انصبت على الأنوار ... الرصاص . ولكهم أخطأوني ... هذا هو السر الذي مدني بالقوة والحياة .

خالد - يا لها من قصة منيرة . إننا امام بطل ، لا أمام حسن
حسن - هل أستطيع ان اتم رسالتني ؟ لا تضعوا الفرصة ! صونوا الآبار ، مخزن الأسلحة عن شالك ، تحرسه شجرة .
خالد - ابق مستيقظاً حتى تسمع الانفجار !
حسن - لن أنام قبل أن أسمع الانفجار ..
المرضة - ولكن ، يجب ان تمام !
حسن - مخزن الأسلحة عن الشمال . سيرى هكذا ! لم أخطيء ! إنه عن الشمال .. الآبار أصبحت محروسة حراسة تامة . الكل مستعد وانت ، كوني مستعدة لضيافة حسن اذا ظل حياً .

المرضة - لماذا تهذي ؟ هل تحس ألماً ؟
حسن - لا ألم .. ولكن الحياة تهرب مني . تنسل من رجلي المقطوعتين .
المرضة - ما أكثر تشاؤمك الليلة !
حسن - سنضحك بعد قليل . سنضحك لمفاجأة سارة . . . إني أراهم يزحفون على بطونهم .. خالد تقدم ! تقدموا وراءه أيها الرفاق ! حسن يحرس لكم الطريق .
المرضة - أراه حليماً ثقيلاً !
حسن - إنه حلم ثقيل يريد أن ينتهي . هل

تنظرين الى أهلي في تلك الزاوية يستقبلونني ؟ لا ادري ماذا صنعت من أجلهم . يريدونني ان أركض اليهم ، لكن قديمي لا تحملي لا استطيع أن أركض ... هذه أمي ... هذا وجه أبي ... هؤلاء إخوتي موشحون بالبياض . أين لون الدم الذي كان يصبغهم ؟

المرضة - ان دم الانتقام يغسل ذلك الدم .
حسن - هذا دم الثأر يغلي في عروقي . دعيني وحدي !
المرضة - لتهرب مرة ثانية ؟
حسن - كيف يهرب من ليس له رجالان .. هذه المرة يدبر حسن المعركة وهو على سرير الموت . لو شاء حسن ان يموت واقفاً لمت في المعركة . ولكنه فضل لرفاقه شرف هذه الميثة . هل يذكرون حسن عندما يموتون ؟
المرضة - لم يعد حسن وحده في المعركة .. الأمة كلها حسن . سيكون حسن رمز كل فدائي في الوطن .

حسن - لا اقدر أن اموت . لقد حكموا على حسن بالموت . ولكن حسن لا يموت .. تركوه واقفاً بين الموت والحياة .
المرضة - انك ستحيا . لأن ارادتك من ارادة الوطن .

حسن - ان روحي تصعد ، ولكنها تعود الي من جديد . لماذا ؟ لقد طال موعد المفاجأة . إلهي ! هل ضاوا الطريق ؟ اراهم ينتظرون . ماذا تنتظرون ؟ ... افتحي النوافذ ! أريد ان ارى ، أريد أن اسمع . أريد أن المس الأشلاء الممزقة .

المرضة - حسن ! أهدأ في مكانك !
(صرحت انفجار مستودع الذخيرة من بعيد)
حسن - الهي ! هذه هي المفاجأة ! لقد انتهت رسالة حسن . قولي لهم : « انني أكملت رسالتني » . شكراً يا خالد على وفائك بالوعد !

المرضة - حسن ! لماذا تبكي ؟
حسن - لم يبك حسن الا هذه المرة . اغنني النوافذ على حسن قبل ان يهرب !
المرضة - حسن ! حسن !
خالد - (يدخل مسرعاً)
حسن . حسن ! قد انتقمنا لك .
المرضة - لم يعد حسن هنا .
خالد - لا يمكن .. انه ينتظرنا . أخاف انوعد مرتين ؟
المرضة - لكنه لن يستيقظ بعد اليوم .. يسا خالد .

خالد - ولكنه ان يموت قبل أن يعرف ان رسالته قد تمت ..
المرضة - لقد عرف ! لم يغمض عينيه الا بعد أن هرف . . . ان ابتسامة ثغرة ودهوع عينيه الحامدتين تدل على أنه قد عرف .
خالد - اني اللقاء يا حسن في الجولة الثانية ، ان أمة فيها حسن لن تموت

خليل الهنداوي

« حقوق الاذاعة محفوظة للمؤلف »

عن دار الآداب

صدر اخيراً

قناديل شبلييتة

مجموعة قصص رائعة للقصاص السوري المعروف

الدكتور عبد السلام العجيلي

قصص انسانية عميقة ذات جو سحري عجيب

من النسخة ١٥٠ قرشاً لبنانياً او ما يعادلها

تطلب من دار الآداب - بيروت ص . ب ٤١٢٣